Iraqi Association for Education Psychological Studies
Nasaq journal
specialized certified scientific journal
ISSN: 2312_0150

الجمعية العراقية للدراسات التربوية والنفسية
مجلة نسق
علمية محكمة متخصصة

العدد: ٢٦٧٠

التاريخ: ٥ / ١٢ / ٢٠٢١

الى / أ.م.د. صلاح حسون جبار ، الباحثة . سارة عليوي كاظم سودة
جامعة القادسية ـ كلية الآداب

م/ قبول نشر

تهديكم هيأة تحرير مجلة نسق اطيب التحيات، ونود اعلامكم أن بحثكم الموسوم:

رؤية نقدية في كتابة ادب السيرة
في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت٣٤٦هـ)

تقرر قبول نشره في مجلـــــتنا وسينشر في الأعداد القـــــادمة.

مع الامتنـــــان

الأستاذ الدكتور
حيدر زامل كاظم
رئيس التحرير
٢٠٢١ / ١٢ / ٥

العنوان : العراق – بغداد
Tel. : 07702556294 – 07704373503
Email
facebook :

رؤية نقدية في كتابة ادب السيرة في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت٣٤٦هـ)

المشرف

أ.م.د. صلاح حسون جبار

Email: salah.jabbar@qu.edu.iq

الباحث

سارة عليوي ابو سودة

الملخص:

لم يقصد المسعودي كتابة سيرة إلا السيرة النبوية الشريفة، فقد اتضح أن المسعودي كان قاصدا أن يكتبها ، وكأن كتابة السيرة النبوية أصبحت سنة الكتاب والمؤرخون، حيث يذكرون النبي ﷺ في كتبهم فيتوسعون في جمع أخباره ويرتبونها ترتيبا تاريخيا كما فعل المسعودي . هناك أسباب قللت من أدبية هذا الفن الأدبي عند المسعودي، منها الاختصار والإحالات على كتب أخرى له. كذا كثرة الآراء والأقوال في بعض مسائل السيرة النبوية، عملت على تجفيف منابع ارواء السيرة ، وكل ذلك فكك من سردية النص السيري .

وأما شخصية الإمام علي عليه السلام فإن السرد فيها واضحا أكثر ومتماسكا اكثر، لكنه لم يتناول المسعودي سيرة الإمام إلا في أحضان التاريخ ، فأكثر من الحديث عن حروبه مع معاوية والخوارج . وقد أغفل الحديث الشخصي عن سيرة الإمام علي إلا في مواضع قليلة .

كما أنه لم تظهر شخصية الإمام علي عليه السلام إماما ووصي رسول الله، بل كتب عنه صحابيا ، ولم يروِ ما حرص الرسول على بيانه من إمامة علي عليه السلام بعده في الأمة .

الكلمات المفتاحية : نقد– ادب السيرة – المسعودي – مروج الذهب

A critical view of writing biography literature in the book "Morouj al-Dhahab and Minerals of the Jewel" by Al-Masudi (d. 346 A.H)

Researcher

Sarah Alawi Abu Soda

Supervisor

Professor .Assistant .Dr.
Salah Hassoun Jabbar
Email: salah.jabbar@qu.edu.iq

Abstract :

Al-Masoudi did not intend to write a biography except the honorable biography of the Prophet, as it became clear that Al-Masoudi intended to write it, as if writing the Prophet's biography had become the year of writers and historians, where they mention the Prophet, may God's prayers and peace be upon him and his family, in their books, and they expand in collecting his news and arrange them in a historical order as Al-Masudi did. There are reasons that reduced the literature of this literary art according to Al-Masoudi, including the abbreviation and references to other books by him. As well as the large number of opinions and sayings on some issues of the Prophet's biography, it worked to dry up the sources of the biography of the biography, and all of this disengaged from the narrative of the biographical text.

As for the personality of Imam Ali, the narration in it is more clear and coherent, but Al-Masudi did not deal with the biography of the Imam except in the arms of history, more than talking about his wars with Muawiyah and the Kharijites. The personal talk about the biography of Imam Ali was neglected except in a few places.

Likewise, the personality of Imam Ali did not appear as an imam and successor of the Messenger of God, but a companion wrote about him, and he did not narrate what the Messenger was keen to explain from the leadership of Ali after him in the nation.

Keywords : criticism - biography literature - Masoudi - promoter of gold

المقدمة :

السيرة فن أدبي قديم ، فقد كثرت كتابة السيرة في التراث العربي ، بداية من كتابة السيرة النبوية لابن أسحاق . والسيرة بوصفها جنسا أدبيا تحمل شعورا عميقا بأهمية الإنسان وحياته ، كما تشعر بسيرورة التاريخ ، وهذان العاملان ينبعان من الهمّ بأثير على الجنس البشري عموما ، ولذا فهي تقوم أساسا الصدق والمصارحة بين الكاتب والمتلقي . والسيرة وإن كُتبت بطريقة حديثة لكنها تظلت مستلة من الكتابة السيرية القديمة ببعض التعديلات التي شهدتها الحداثة .

اولاً: ادب السيرة:

إن السيرة هي نوع بإحساس التاريخ، ذلك أن كتابتها بمثابة وعي بأهمية الإنسان وما أحدثه في حياته، ومن جهة أخرى هي إحساس بالتاريخ ومجراه المتغير. ((ففي أحضان التاريخ– إذن–نشأت السيرة وترعرعت، واتخذت سمتا واضحا، وتأثرت بمفهومات الناس عنه على مر العصور، فكانت تسجيلا للأعمال والأحداث والحروب))[١] وليس بدعا أن جذور فن السيرة العربية تبدأ بكتابة سيرة النبي محمد (ﷺ): لأن وجوده أشعرنا بأهمية الإنسان، ووعي التغير، لأنه (ﷺ) البداية الحقيقية لتاريخ العرب. وأنواع السيرة سواء أكانت ذاتية أم غيرية، ففي كلتا الحالتين هي تعبر عن وعي بذاتها أو بغيرها.

ولا نعدم وجود النوعين في التراث العربي، فكثيرة تلك السير في التراث العربي، منها: (السيرة النبوية)[٢] لأبن إسحاق. وكتاب (الاعتبار)[٣] لأسامة بن منقذ، و(سيرة الأستاذ جؤذر)[٤] لأبي علي منصور الجوذري، و(سيرة الهادي إلى يحيى بن الحسين)[٥] علي بن محمد عبيد الله العباسي العلوي. وكتاب (المنقذ من الضلال)[٦] لأبي حامد الغزالي.

السيرة الطريقة سواء كانت خيرا أو شرا[٧]. وهي ((إعادة بناء حياة إنسانية))[٨] ومعنى ذلك أنها عملية تركيبية تعيد للإنسان حياته.

هذا والباحثة تؤمن باختلاف مفهوم السيرة قديما وحديثا، وتذهب آخذة بنظر الاعتبار ذلك الاختلاف إلى أن السيرة هي((نوع من الأدب، يجمع بين التحري التاريخي، والإمتاع القصصي، ويراد به دراسة حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصيته الكاملة))[٩].

ويمكن تعريف السيرة عند القدماء، هي جمع أخبار الشخصية، وإعادة تركيبها وترتيبها من المهد إلى اللحد. فحدود السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة الشخص وموته[١٠].

كانت السيرة أشد ارتباطا بالتاريخ لأنها تعرض أعمال الفرد متصلة بالأحداث العامة– وعندئذ–تحقق السيرة غاية تاريخية، وكلما تعزل الفرد عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وبذلك تبتعد عن التاريخ وتقترب من غايات أخلاقية، وتعليمية، إلى أن تصبح مجموعة من المناقب والأقوال، يتأدب بها المتأدبون، ويستغلها الواعظون في استمالة القلوب الى الخير[١١].

وإذا كانت السيرة هي جمع أخبار الشخص وما يمت له بصلة، وسواء كان ذلك الجمع من سياق المجتمع العام أو بعزله عن المجتمع فإن ذلك الجمع يقلل من فنيتها وأدبيتها، لأن التأريخ يطغى عليها بصرامته وجفاف خبره ، وتكثر الأقوال وتتعدد الآراء ، وكل ذلك على حساب فنية السيرة ومدى أدبيتها.

إن السيرة كما يقول الدكتور إحسان عباس ((تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري، وهذا النوع من الأدب كالأدب

الذي يخلق خلقا، من حيث أن صاحبه معنى بغاية محدودة تهديه في اختياره وترتيبه للحقائق، وهو الروائي والقاص أيضا، يحاول أن يكشف عن الصراع بين بطل سيرته والطبيعة، وصراعه مع الناس الآخرين ومع نفسه وهو يحاول أن ينقل إلى القراء حقيقة ذات قبول عام، ولكنه لا يستطيع أن يحكم خياله في أجزائها ... ويقف موقف المستكشف المفسر))[١٢].

ولم يكن في مقصد المسعودي كتابة سيرة لشخصية من الشخصيات، لكن ملامح السيرة بالمعنى الذي حررناه اخيرا، موجودة، فقد تناول شخصية الرسول(ﷺ) بشيء من التفصيل وأورد اخبار من الممكن أن نلم شتاتها ونرتبها وعندئذ تكون سيرة نبوية، من مهده الى لحده. خاصة ان المسعودي قد أثرى بعض الشخصيات بتفاصيل ودقائق، وحاول جمعها في موضوع واحد، متخذاً بسردها، تتابع تاريخي، وبذلك يقترب من مفهوم السيرة، كما هي عند رجال الدين حينما يجمعون الأخبار ويرتبوها، مستنتجين منها سيرةً عطرة، تحيا بيننا من جديد.

وكثيرة تلك السير التي كتبت عن النبي (ﷺ) التي تقوم على سرد أحداث التاريخ.

وعلى الرغم من إن السيرة النبوية أو سير أهل البيت (عليهم السلام) قد كتبت من مجموعة كبيرة من مصادر التاريخ، والحديث والخطب، وغيرها، وهكذا يتم ترميم النقص الحاصل، وضم الكتب بعضها إلى بعض، ليتم كتابة السير، إلا أننا سنعتمد إلى دراسة السيرة في كتاب مروج الذهب دون غيره من المصادر، لنكشف عن مدى أدبية السيرة عند المسعودي، ودرجة وضوحها، ومدى فنيتها، دون أن نعمد الى كتب اخرى.

ثانياً: الوان وانواع السيرة الادبية في كتاب (مروج الذهب) :

تطالعنا ثلاثة الوان من السيرة الأدبية في كتاب (مروج الذهب) وهي:

١) السيرة النبوية:

إنَّ النبي (ﷺ) يحظى بمكانة سامية لدى العرب والمسلمين، ولذا فإن الكثير من المؤرخين والأدباء يحاولون جهدهم أن يكتبوا شيئاً في نبينا محمد (ﷺ) تيمناً به، وحباً له، ورجاءً لشفاعته، ولهذا يبسط المسعودي الحديث عن النبي (ﷺ) قاصداً أن يكتب سيرة له (ﷺ). ولعلنا نرى في حرص المؤرخين على بسط الكلام فيه وكتابة السيرة له (ﷺ)، قاصدين من وراء ذلك دروساً وعبر إذ سيرة رسولنا كانت ولا تزال تجربة غنية بأحداثها، زاخرة بدلالاتها، متنوعة بمعطياتها[١٣].

بل إن الرسولﷺ هو البداية الحقيقية لمحو الجاهلية، وخلق مجتمع عربي متماسك، بل هو بداية الفكر العربي الرصين. ولهذا يحرص المسعودي وغيره على كتابة السيرة النبوية، ونشعر ذلك حينما يقول المسعودي: (وقد ذكرنا فيما سلف ... من آمن به قبل رسالته، وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من اهل الفترة، فلنذكر الان مولده))[١٤] هذا والذي كتبه المسعودي بعد هذا الموضع، يشعر بأن البداية الحقيقية للعرب من يوم مولده الأغر وصارت أمة تستحق أن يؤرخ لها، وخلص المسعودي بعد هذا الموضع إلى كتابة تاريخ العرب دون سائر الأمم، وأما قبله فقد قل نصيب العرب في كتاباته فتحدث عن الفرس والقبط وغيرهم من الأمم، وهذا يدل على أن أمة العرب تبدأ بميلاد النبي محمد (ﷺ).

وأحسن صنعاً المسعودي حينما انتزع اسانيد الأخبار والروايات في كتابة السيرة، ذلك إشعار منه بصدق الحقيقة وبعدها عن الضعف وجعل العهدة على الراوي، فيقول: ((شقّ الملكان

بطنه، واستخرجا قلبه، فشقاه واخرجا منه علقة سوداء، ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج، وقال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنه فرجع، ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف، فقال: والله لو وزنته بأمته لوزنها))[١٥].

وهذه القصة مروية عنه (ﷺ) ولا شيء يدعو الى إنكار هذه القصة، أولا لأنها معجزة. والمعاجز لا تقاس بالعقل، ومن جهة أخرى إن كثير من الأنبياء حدثت لهم معجزات قبل نبوتهم تنبيها وتمهيداً الى النبوية، ومن ذلك يوسف (عليه السلام) الذي رأى في منامه، أن الكواكب تسجد له. والنبي يحيى (عليه السلام) فقد أُوتي الكتاب والحكم صبيا، وكذلك موسى (عليه السلام) عندما حرمت عليه المراضع، كما أنه أخذ التمرة بدل الجمرة لولا أن الله شاء غير ما شاء موسى، وكذلك عيسى (عليه السلام) حينما نطق في المهد صبيا، كل ذلك إيذانا بنبواتهم (عليهم السلام). كما وأن القرآن ربما يلمح لما يناسب هذه المعجزة حينما يمتدحه بأدبه وحسن خلقه، وصفاء قلبه إذ يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[١٦]. كما يستدل على ذلك بعض الاعلام من خلال قوله تعالى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[١٧].

والمسعودي يشطر السيرة النبوية شطرين الأول قبل المبعث: وهذا الشطر من السيرة النبوية يأتي مختصراً، ويستعمل فيه آلية الحذف، فيغفل مرحلة زمنية وعدم ذكرها، فعل ذلك بين بناء الكعبة والمبعث النبوي الشريف[١٨]، كما فعل المسعودي ذلك في إقامته(ﷺ) ودعوته بمكة. إذ يقول ((أمر الله عز وجل رسوله (ﷺ) بالهجرة، وفرض عليه الجهاد، وذلك في سنة إحدى من سني الهجرة، وهي السنة التي نزل فيها الأذن، وكانت سنة اربع عشرة من المبعث))[١٩]. وآلية الحذف وإن كان موجودة في عموم القص في السيرة النبوية، لكن في الشطر الأول من حياته (ﷺ) تكثر، وربما هناك دوافع أبعد من مجرد الاختصار أو انعدام الأحداث المهمة، فربما كره أن

يذكر على العرب مثالبهم في نكران الدين الإسلامي، ومحاربة رسولهم الكريم، وقد آمنوا به فيما بعد، وصاروا مؤمنين، فكرِه أن يؤرخ الكفر لناس مسلمين.

وأما في الشطر الثاني من السيرة النبوية تحضر لديه آلية الخلاصة والمجمل، فهو يختصر أحداث سنوات وأشهر في أسطر، ويظهر ذلك بوضوح عندما يذكر زواج علي بفاطمة، وزواجه (ﷺ) من خديجة، ووفاة عمه ، أبي طالب، ووفاة خديجة (رضي الله عنها) وزواجه بعائشة. ويفعل المسعودي ذلك تعويلاً على كتب أخرى قد بسط الكلام فيها حيق يقول: ((وقد أتينا على مبسوط هذا الباب، في كتابينا اخبار الزمان والأوسط))[٢٠].

ونلمح من هذا القول: إن المسعودي كان قد كتب سيرة النبي (ﷺ) أو حاول جمع كل ما يمت له بصلة، وهو أشبه ما يكون بكاتب سيرة. ولأن مجرد جمع الأخبار وترتبها تعني عندهم سيرة. وهذا التعويل على كتب أخرى قلل من فنية أدب السيرة في كتاب مروج الذهب، ذلك لكثرة الاختصارات.

ومما يقلل من مدى أدبية السيرة عن المسعودي تعدد الأقوال والآراء التي يسردها المسعودي حول بعض المسائل مثل عدد غزواته والغزوات التي قاتل فيها (ﷺ) إذ يقول: ((قاتل منها في تسع غزوات ... هذا قول محمد بن إسحاق، وإما ما ذهب إليه الواقدي فإنه يوافق ابن إسحاق في قتال النبي (ﷺ) في هذه التسع غزوات وزاد آن النبي (ﷺ) ... قاتل في إحدى عشرة غزوة))[٢١]. ومثل ذلك يضعف من أدبية السيرة، ويدخل عليها الطابع العلمي.

ومما يؤخذ على المسعودي توخي الدقة في تحديد التواريخ وهو ضرب من الرجم بالغيب، وهذا بدوره أبعده من الدقة نفسها والموضوعية، إذ يقول: ((وبين الفجار الرابع الذي كان فيه القتال وبين بنيان الكعبة خمس عشرة سنة، وكان من حضور النبي (ﷺ) ومشاهدته الفجار الرابع

إلى أن خرج إلى الشام في تجارة خديجة أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام وإلى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران واربعة وعشرون يوما))[٢٢].

والباحثة تشك حيال هذه الدقة في التواريخ وهي ضرب من الظن، لأن النبي محمد (ﷺ) بعدُ لم يبعث نبيا فما الذي يبعث العرب على حفظ هذه التواريخ بهذه الدقة، ونعجب أكثر حين نجد هذه الدقة مقابل الشك الهائل، وعدم الضبط في مماته، الذي هو أحرى بالدقة.

من خلال هذه السيرة النبوية نخلص إلى جملة من الملاحظات أهمها إن من مصادر دراسة السيرة النبوية القرآن الكريم، لا نكاد نجد كبير تعويل من المسعودي على القرآن وكان غالبا ما يركن إلى التأريخ ويجمع الأخبار والأقوال. فقد أخذ من كتب الحديث كثيراً من ذلك ((روى جعفر بن حمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: إن الله عز وجل أدب محمداً فأحسن تأديبه، فقال خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين))[٢٣].

ونحن نلحظ محاولة المسعودي في كتابة سيرة النبي مع ملامح واضحة لأدبيات هذا الفن لكنه انتهج منهج الاختصار والتعويل على كتب أخرى فلا يرى حاجة للتكرار، فقد قال المسعودي: ((وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان والكتاب بالأوسط على ما كان في سنةٍ سنة من مولده (عليه الصلاة والسلام) إلى مبعثه، ومن مبعثه إلى هجرته، ومن هجرته إلى وفاته ... وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا))[٢٤].

وعلى الرغم من وضوح الملامح في كتابة فن السيرة لدى المسعودي إلا ان هناك ما يقلل من أدبيات هذا الفن لأنه أولا تناول شخص النبي بأحضان التاريخ وثانيا لأنه قد عوّل على كتب

أخرى قد بسط الكلام فيها وهذا جعل السيرة مختصرة، كما أن السيرة هي واحدة من مظان السرد، وبكثرة الإحالات والآراء التي يطرحها المسعودي، كل هذه عمل على تفكيك عناصر السرد، وبدوره قلل من أدبيات هذا الفن لدى المسعودي.

ان ابتداء فن السيرة بشخصية محمد (ﷺ) دون سواها يعد بمثابة الوعي بالتاريخ والتطور والتغير فقد كان النبي (ﷺ) نقطة تحول في تاريخ العرب ومن جهة اخرى هو وعي بأهمية الإنسان ووعي بأهمية ماهيته ورسالته، فقد كان يحيى العربي وهو يشعر بعبثية وجوده ولا شيء يدعو لتخليد الإنسان الا بعد ان عرفنا عظمة محمد (ﷺ) ومنه عرفنا رسالة الإنسان أجمع ، كما أن هذه السيرة النبوية أصبحت معدن روحي ينهل منه المسلمون ويقتدون به ومن مميزات سيرة الرسول ((انها اصح سيرة لتاريخ نبي مرسل، أو عظيم مصلح))[٢٥].

ان مفهوم السيرة عند القدماء ويتضح ذلك من خلال كتاباتهم أنها مجموعة اخبار ترتب ترتيبا تاريخيا متسلسلا وهذا ينطبق على السيرة لدى المسعودي.

فلم نلحظ شخصية حاول المسعودي كتابة سيرة لها غير السيرة النبوية، ونستشف ذلك من خلال وقوف المسعودي المتمعن في سرد ما يمت للنبي بصلة ، ورصده لأحداث وتفاصيل ثانوية، على غير عادة المسعودي فما ذلك إلا تلبية لمتطلبات فن السيرة ، وكان المقصد من خلالها مقصد إسلامياً أولاً وعبرة ودروساً أخلاقية وإنها تعرف بأعظم شخصية تاريخية ثانياً.

٢) سيرة الامام علي (عليه السلام):

لم يكن مقصد المسعودي كتابة سيرة للإمام علي (عليه السلام)، لكن شخصية الإمام فرضت نفسها على التاريخ بكثرة في عصرها آنذاك، ولا يمكن معه اغفالها، كما وأن المسعودي تتبع

شخصية الإمام بدقة، فقد نمَتْ شخصيته (عليه السلام) على صفحات كتابه نمواً متسلسلاً تسلسلاً منطقياً، يقف المسعودي متعجلاً في تاريخه مع الإمام علي (عليه السلام) إذ يقول: ((بويع علي بن أبي طالب في اليوم الذي قتل فيه عثمان، فكانت خلافته إلى أن استشهد اربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ... وكان مولده في الكعبة، وقيل: إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة اشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة))[٢٦]. وبعد ذكر اسمه ونسبه (عليه السلام) يدخل المسعودي سريعاً إلى مسيرة الإمام إلى البصرة[٢٧].

وهذا التعجل والاختصار السريع تقف وراءه أسباب، أولها: أن المسعودي قد ذكر نتفاً من أخباره (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله) كسبقه للإسلام وقربه من علي (عليه السلام) وخروجه مع النبي في هجرته، وزواجه من فاطمة، كل ذلك جعل المسعودي يقفز ليوم خلافته. وهذا خلاف لما اعتدنا عليه من المسعودي من أنه يذكر نسب وميلاد واسم كل خليفة، كما فعل مع أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

إن التناول التاريخي الذي تناول المسعودي منه سيرة الإمام – كما سنرى قريباً–جعل من يوم خلافته (عليه السلام) بداية حرجة يمر بها الإسلام والمسلمون، إذ كان مقتل عثمان وهي الفتنة الكبرى للمسلمين متزامنة مع خلافته، هذا ما جعل المسعودي يتعجل في سيرة الإمام(عليه السلام).

إذ يقول المسعودي: ((وكان مسير علي إلى البصرة في سنة ست وثلاثين، وفيها كانت واقعة الجمل، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الأولى منها، وقتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفاً))[٢٨] وفي البداية يلخص المسعودي أهم الوقائع التي خاضها علي (عليه السلام). فهو يذكر مجملاً ثم يفصل بعد ذلك.

وقال: ((ودخل طلحة والزبير مكة، وقد كانا استأذنا علياً في العمرة، فقال لهما: لعلكما تريدان البصرة أو الشام، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة، وقد كانت عائشة (رضي الله عنها) بمكة، وقد كان عبدالله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي، ومسير عثمان بن حنيف الانصاري إليها على خراجها من قبل علي (عليه السلام) وانصرف عن اليمن عامل عثمان وهو يعلي بن منية، فأتى مكة وصادف بها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم وآخرين من بني امية، فكان ممن حرض على الطلب بدم عثمان))[٢٩].

هكذا يباشر المسعودي كتابة حروب علي (عليه السلام) مع الخوارج ومع بني أمية ومع معاوية، ويغفل كثيراً من سيرته الشخصية (عليه السلام)، فقد تناول المسعودي شخصية الإمام تناولا تاريخياً، بمقدار ما اتصل بالتاريخ، ولا يسلط عليه الضوء خارج دائرة التاريخ إلا قليلاً. ومن تداعيات ذلك أن ظهرت شخصية الإمام علي (عليه السلام) شخصية صحابي، ولم تظهر – رغم تشيع المسعودي على المشهور–شخصيته (عليه السلام) إماماً ووصي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، له معجزاته، ومكانته التي وضحها النبي (صلى الله عليه وآله) في حياته وحرص على توضيحها قبيل مماته. هذا الحكم يصدق حتى بعد أن انتهى من كتابة حروبه، وأفرد باباً في ذكر لمع من أخباره الخاصة، فيورد لنا أخبار زهده وطاعته، وبلاغته، وما نزلت به من بعض الآيات القرآنية، وفضائله.

إن الذي يجعلنا نفرد لسيرة الإمام علي (عليه السلام) خصوصية دون سائر التراجم، هو شعورنا بتعاطف المسعودي في بيان الفتنة التي لم تدع مجالاً لممارسة الإمام علي (عليه السلام) السلطة بارتياح، مما عرقل مسيرة الخلافة تحت ظلال القرآن والسنة النبوية ، فهي فتنة اتخذها الأعداء على ظاهر أمرها ذريعة لانشقاق المسلمين. وعليه فإن المسعودي صبّ جل اهتمامه لبيان مظلومية الإمام (عليه السلام) والفتن التي قضّت مضجع الخلافة العلوية.

إن خصوصية هذه الشخصية نابعة من كثرة ما كتب عنها المسعودي فقد أفرد لها المسعودي من الصفحات نسبة الثمن من الكتاب–مروج الذهب– فهي شخصية تداخلت مع الكثير من الأحداث في عصر الرسالة الإسلامي.

كما أن هناك سمة اخرى لهذه السيرة ألا وهي تجليات آليات السرد في القصص التاريخي، والتي نضب معانيها في السيرة النبوية، أما مع شخصية الإمام علي فإن السردية فيها واضحة وهذا يجعلها تدخل إلى مظان السرد أكثر من السيرة النبوية.

٣) التراجم:

وهي ((ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفاً يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كُتبت فيه الترجمة، وتبعاً لثقافة المترجم. أي كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه))[٣٠].

إن التراجم ضرب من السيرة، فقد أدخلها الباحثون ضمن أدب السيرة الغيرية، وقد ترجم المسعودي لكثير من الشخصيات في كتابه (مروج الذهب) بداية من شخصيات جاهلية وإسلامية حتى أنه ترجم لمختلف الشخصيات. خلفاء وأدباء وشعراء ونقاد، وفقهاء، وقادة، ونحاة، وغيرهم.

ويبدو في شيء من التجوز ادرجت التراجم في السيرة، لأن هناك فروقاً جوهرية في الفنين، فالخلاف بين السيرة والترجمة شاسع، هو خلاف في السبل والغايات. ولا مجال لمناقشة ذلك، وسنتبع ما وجدناه عند الدارسين.

قلما تعرض شخصية لم يترجم لها المسعودي أو يلقي عليها الضوء الذي يبين بعض معالمها، خاصة المشاهير من الشخصيات، ولكن هذه السعة أربكت عملية الترجمة في كثير من الأحيان. ومثال ذلك أثناء ترجمته لهارون الرشيد ((ولما أفضت الخلافة إلى الرشيد دعا بيحيى البرمكي فقال له: يا أبتِ، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وماتت ربطة بنت أبي العباس السفاح لشهور خلت من أيام الرشيد، وماتت الخيزران أم الهادي والرشيد)) ثم يحدثنا عن محمد بن سليمان وسوار القاضي يعترضهما مجنون، ثم موت شريك القاضي النخعي، ويحدثنا عن موت مالك بن أنس[٣١].

وهكذا فان المسعودي تداخلت عنده التراجم والأخبار، ففي أثناء حديثه عن الرشيد يعرف بعشرات الشخصيات، بغض النظر عن مدى قربها من الرشيد وبعدها. ويحدث هذا بفعل المنهج الزمني المتسلسل الذي يطبقه المسعودي بصرامة في كتابه، فالتزم الأساس التاريخي أكثر من المنهج الموضوعي.

يذكر المسعودي: ((وفي سنة ثمانية وثمانين ومائة حج الرشيد، وهي آخر حجة حجّها، فذكر عن أبي بكر بن عياش ... أنه قال وقد اجتاز الرشيد بالكوفة في حال منصرفه من هذه الحجة: لا يعود إلى هذه الطريق، ولا خليفة من بني العباس بعده أبداً، فقيل له: أضرب من الغيب؟ قال نعم، قيل بوحي؟ قال: نعم، قبل: إليك قال لا، إلى محمد (ﷺ)))[٣٢].

ويبدو أن كاتب التراجم له سلطة في انتقاء الأخبار من وجه نظره هو، وبهذا يداخلها شيء من التحيز، واللاموضوعية، لأن المترجم يكتب لنا بضيق موقعه[٣٣].

وهذا واضح في ترجمة المسعودي للرشيد فعلى الرغم من أن الرشيد شخصية سياسية، فإن ذلك لا يظهر بوضوح، إذ المسعودي انشغل بأخبار تبتعد عن حقيقة شخصيته، فيحدثنا

المسعودي عن موت الكسائي ومنادماته مع الأدباء كالأصمعي والكسائي وابن السمك، ويحدثنا عن إهداء سمكة للرشيد، وغيرها من الأخبار التي لا تعطي صورة صحيحة عن المترجم له. ونخلص أخيراً إلى أن كل السير الموجودة في كتاب مروج الذهب-على اختلافها-يتم تناولها من ولادتها إلى مماتها، هذا ما جعل النص السيري مغلقاً أحياناً لدى المسعودي.

وقد كتب السيرة بأسلوب سهل ذي ألفاظ مألوفة، والوضوح يلازم كل السير فلا غموض ولا تعقيد، المتعة كانت سمة من سمات كتابة السيرة، في كتاب (مروج الذهب) لأنه كثيراً ما يستطرد في كتاباته، وخاصة في التراجم.

المصادر واهم المراجع:

١- فن السيرة، إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٦.

٢- السيرة النبوية، محمد بن إسحاق المدني(١٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣- كتاب الاعتبار، أسامة بن منقذ الكناني الشيزري(٥٨٤هـ)، تدقيق: د. عبد الكريم الأشتر، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤- سيرة الأستاذ جوذر، ابى على منصور العزيزى الجوذرى، ت(٣٥٠هـ): د. محمد كامل حسين ود. محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مطبعة الاعتماد، مصر.

٥- سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(عليه السلام)، علي بن محمد عبيد الله العباسي العلوي(٢٩٨هـ)، ت: سهيل زكار.
المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال: أبي حامد الغزالي: تحقيق: جميل صليبا وكامل عياد.

٦- معجم التعريفات، علي بن محمد الجرجاني(٨١٦هـ)، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

٧- السيرة تاريخ وفن، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
الفنون الأدبية وأعلامها: أنيس المقدسي: ٥٤٧.

٨- دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، ط١٣، ١٩٩١.

٩- سيرة الرسول وخلفائه، السيد علي فضل الله الحسني، الدار الاسلامية، ط٢، ١٩٩٣.

١٠- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، ط٨، ١٩٨٥، المكتب الاسلامي.

١١- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧م.

هوامش البحث :

---

[١]فن السيرة: إحسان عباس: ١٠-١١.

[٢]السيرة النبوية: لابن اسحاق: ت: أحمد فريد المزيدي.

[٣]كتاب الاعتبار: لأسامة بن منقذ: تدقيق: د. عبد الكريم الأشتر.

[٤]سيرة الأستاذ جؤذر: لابي علي منصور العزيزي الجوذري: تحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة.

[٥]ينظر: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين: رواية علي بن محمد عبيد الله العباسي العلوي: تحقيق: سهيل زكار.

[٦]المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال: أبي حامد الغزالي: تحقيق: جميل صليبا وكامل عياد.

[٧]ينظر: التعريفات: للجرجاني: ١٠٦.

[٨]السيرة، تاريخ وفن: ماهر فهمي: ٧٤.

[٩]الفنون الأدبية وأعلامها: أنيس المقدسي: ٥٤٧.

[١٠]ينظر: فن السيرة: ١١.

[١١]ينظر: فن السيرة: ١١- ١٨.

[١٢]المصدر نفسه : ٨٤-٨٥.

[١٣]ينظر: دراسة في السيرة: عماد الدين خليل: ٦.

[١٤]مروج الذهب: ٢: ٢٨١.

[١٥]المصدر نفسه: ٢: ٢٩٠.

[١٦]آل عمران: ١٥٩.

[١٧] الانشراح: ١٥٩.

[١٨] ينظر: سيرة الرسول وخلفائه: ١: ٣٠٠.

[١٩] ينظر: مروج الذهب: ٢: ٢٨٨.

[٢٠]المصدر نفسه: ٢: ٢٩٠-: ٢٩٣.

[٢١]المصدر نفسه: ٢: ٢٩٧.

[٢٢]مروج الذهب: ٢: ٢٨٦.

[٢٣]المصدر نفسه: ٢: ٢٩٨. وكذا ينظر: ٢: ٢٩٩، ٢٩٧.

[٢٤]المصدر نفسه: ٢: ٣٠٦.

[٢٥]السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي: ١٥.

[٢٦]مروج الذهب: ٢: ٣٦٦.

[٢٧]ينظر: المصدر نفسه: ٢: ٣٦٧-٣٦٨.

[٢٨]مروج الذهب: ٢: ٣٦٨.

[٢٩]المصدر نفسه: ٢: ٣٧٤.

[٣٠]مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي: ٥.

[٣١]ينظر: مروج الذهب: ٣: ٣٦٩ وما بعدها.

[٣٢]مروج الذهب: ٣: ٣٧٥.

[٣٣]ينظر: المصدر نفسه: ٣: ٣٧٥ وما بعدها.